مستقبل الاسلام (*)

يسرنا أن شعور المسلمين بالخطر الذي يتهددهم في مشارق الارض ومغاربها قد نبه الافكار الى البحث في أسبابه والسعي في علاجه فكأن أرواح العقلاء والنبهاء تتناجى في كل قطر من الاقطار وكأني أسمع كريرا « هو صوت من الصدر كصوت المنخنق » وزفيرا يفصحان عن الخطب ويمثلان الكرب ، فائضان من صدور أهل الشرق والغرب ، ويتلاقيان في مركز الدائرة وبهرة الاسلام مصر المحروسة أعزها الله تعالى . بالامس سمعنا صوت الكاتب المراكشي يحذر وينذر ويسأل ويجيب ، واليوم نسمع صوت الكاتب الهندي يوقظ وينبه ويستنهض الهمم ، ويستسقي الديم بكاء ونواح وعويل وصياح ، واثارة رياح ، أسف واستياء ، واتفاق على الداء ، واختلاف في العلاج والدواء ، فتى تتفق الافكار في النتيجة كما اتفقت في المقدمات ، وأيان تشترك في الاعمال ، مثلما اشتركت في الاقوال

ما هي النتيجة : قالوا اجتماع كلمة ، اتفاق قلوب ، التفاف حول لواء الخلافة ؛ اتحاد المشرق مع المغرب الاسلاميين ، علوم ومعارف ، فنون وصنائع ، معاهدة ملوك الاسلام ، تأليف جمعيات ، عقد شركات . . . . كلمات متقطعة ، بين مهمة وهينمة ، أو ضوضاء وجلبة ، لا تظهر حقيقة ، ولا ترشد إلى طريقة

نشرنا مقالة المغربي في العدد الماضي من جريدتنا وأجبنا عن سؤاله ، وننشر الآن نبذة من مقالة المشرقي « الهندي » ونجيب عنها ، وما الجواب الا واحدا ولكن الاساليب تتلون بألوان كثيرة وتتجلى في اشكال متعددة

قال الكاتب الهندي الفاضل فيما ترجمه المؤيد الاغر عن جريدة محمدان الغراء بعد كلام شكر فيه صاحب هذه الجريدة « محمدان » على نقله عن الجرائد الاسلامية ما يهم المسلمين ويبعث على تقوية رابطتهم

« وان أحدنا ليحزن حقاً إذا جال بخاطره في بلاد الاسلام وممالكه ورآها

(*) نشرت في اول العدد ٤١ المؤرخ في ١٧ شعبان ١٣١٦ و ٣١ ديسمبر ١٨٩٨

جميعاً على غاية من التأخر والاضمحلال وانه لا توجد دولة واحدة من بين الدول الاسلامية تستحق الاعجاب بها والمباهاة بتقدمها » ثم قال

« أجل ان الوقت حرج والمركز صعب والحياة مريرة فاذا لم يعمل المسلمون بكل جهدهم ويستيقظوا من سباتهم العميق فانهم بلا ريب يصبحون كأمة اليهود لا وطن ولا دولة لهم (ولكن ليهود اليوم المال يحميهم ويرفع شأنهم أما يهود الغد الفقراء فلا يكون نصيبهم سوى الذل والهوان)

«واذا قيل أين الوقت وأين الفرصة قلنا الساعة التي نحن فيها على بقية من الرمق ، فالواجب على أصحاب المدارك السامية من المسلمين أن يقدحوا أزند أفكارهم ويبحثوا عن المسالك النافعة والطرق المؤدية الى منفعتهم

«هذا هو الوقت الذي يلزم فيه أمير المؤمنين السلطان الغازي عبد الحميد الثاني المشهور بالعقل والدهاء وحب توثيق عرى الجامعة الاسلامية حوله أن يبرهن للعالم الإسلامي على أنه الاحق بالخلافة من كل خليفة لبس تاجها »

ثم تكلم في موضوع تأسيس مجتمع إسلامي في الاستانة العلية تحت رئاسة مولانا أمير المؤمنين (وذلك مالا يكون) ثم قال

« واذا أردت زيادة التوضيح فاسمح لي أن أقول ان هذه البلاد الاسلامية لا يرتفع لها شأن الا إذا حمل الافراد على مشاركة الحكومات فيما تجريه وفي جميع مسئولياتها فان الحمل أصبح الآن على أكتاف الحكومات التي يديرها رجل واحد أو رجلان على الاكثر ثقيلا جداً ، فالحكومات الاوربية الآن تحمل على حكومات الاسلام بوطأة شديدة واذا نوقشت بالعقل ألجمتها بأن وراءها البرلمانات التي تمثل الامم في قوتها تقهرها على السير في السبيل الذي تسلكه

«أي رجل معتوه يقول ان وزيرا من وزراء دولة العجم مثلا يقدر أن يقف وحده تجاه برلمان انكلترا أو مجلس نواب فرنسا ؟؟

«ان كل فرد من أفراد ممالك أوربا يعتقد في نفسه أنه عضو عامل في حكومة بلاده بينما المسلم لا يعتبر الا انه حجر ينقل الى حيث ينقل ويستقر حيث يلقى أو يقذف به من حالق . وزد على ذلك انه جاهل يدعوه جهله الى الا بتعاد عن وسائل

المدنية الحقة .وفي بلاد الاسلام تجد الجزء الاكبر من الشيوخ الذين لهم تأثير عظيم في النفوس لايحبون الاصلاح ولا الانتقال عما اعتادوه وورثوه عن آبائهم ثم هم مع ذلك يشغلون أوقاتهم بالامور التافهة والمشاكل الشخصية فلا يجد الحكام مجالا لبث أشعة نور الاصلاح مع كل هذه الاحوال فكيف ينتظر لنا مع هذه الحال نجاح، أو ارتقاء في مدارج الاصلاح

«يتضح لك مما تقدم أن تأخرنا ناتج عن جهل المجموع وخموله فاذا نحن عقدنا النية على ترقية شأننا فعلينا أولا أن نرقي المجموع ونقيم ماأعوج من أموره ولا تكون هذه التربية النافعة قاصرة على المكاتب الصغيرة القديمة العقيمة . بل تترجم الى لغاتنا جميع مباحث العلوم العصرية وفروعها وتدخل الصنائع والادارات التي رفعت درجة العالم الاوروبي وتهب حكومات الاسلام رعاياها حرية الكلام في الخطابة والكتابة مع بعض امتيازات تسمح بأن يكون لهم صوت ويد في سير الحكومة وتدبيرها حتى يتمكنوا من إدخال الاصلاح »

ثم تكلم عن دولة الفرس وعدم التفاتها الى التعليم والتنظيم العسكري وذكرها بما يتهددها من قوة الروسيا ثم قال

«شهد العالم في العام الماضي فوز الدولة العلية وانتصار جنودها الباسلة واستعداد ضباطها .فلم لاتأخذ دولة الفرس ضباطا من الاتراك بدل الضباط من الروس .أولماذا لاترسل دولة الفرس شبانا من عندها ليتعلموا الفنون العسكرية في المدارس الحربية العثمانية ليعودوا ضباطا ماهرين اكفاء للقيام بأعباء وظيفتهم

«انه وان تكن البلاد الهندية لم تصل الى درجة عظمى من المعارف لكن مدرسة «عليكده» التي أسسها المرحوم السيد أحمد خان قد أنتجت رجالا أفاضل نابغين في المعارف والعلوم أفلا تحسن حكومة الفرس لو استعارت من أمثالهم معلمين في مدارسها أو لخدمتها أولى من تعيين البلجيكي والطياني أو غيرها ؟

«واذا أدار الانسان نظره الى شطر بلاد الافغان رأى ان أميرها حفظه الله يجتهد كل الاجتهاد في ايجاد مملكة قوية حربية و يضاف الى ذلك ظهوره بمظهر الولاء

لانكلترا في أحرج المواقف وأصعبها ولكن النجاح الذي تناله الافغان ليس مما يعظم الامل في مستقبلها

«وان الانسان يتولاه الاندهاش حين يرى رجلا عظيما مثل الامير عبد الرحمن خان لا يهتم بالتعليم والتربية في بلاده وقد شهدت له الناس بالغيرة الشديدة على إنجاحها فلا تزال مدرسة «غازني» كما كانت من قديم لم يحور في تعليمها شيء ولم تزد عليها من العلوم العصرية زيادة ولا يلزم أن تبقى الحالة على الصناعة الحربية بل من الواجب ارسال بعض اتباعه الى البلاد الاجنبية للنظر في حالة تلك البلاد والنقل عن معارفها وآدابها

«اما المصريون فهم الآن قابلون للتقدم والارتقاء والاولى بهم أن ينتهزوا الفرص ويقوموا يدا واحدة لتربية الناشئين والاعتناء بأمر التعليم حيث لا ينفع قول ليت ولعل وقد طالعت في رحلة مولانا شبلي أن التعليم في الازهر الشريف ليس كما يرام ولا ينتظر منه لبلاد الاسلام منفعة كبرى وعائدة جليلة وفضلا عن ذلك فان مسلمي مصر أغنى بكثير من مسلمي الهند وانهم اذا أرادوا ووطدوا العزيمة قادرون على تأسيس مدارس جامعة كبرى مثل (اكسفورد) و (كمبردج) الانكليزية فهلا يتنبهون للمستقبل وما يأتي به الغد من الحوادث الخطيرة

«اعترف الاعداء قبل الاصدقاء أن جلالة السلطان عبد الحميد أمير المؤمنين أقدر الملوك واعظم سلطان جلس على أريكة سلطنة آل عثمان ولكنه وحيد يشتغل وحده لا يشرك ولا يجد من يساعده من الافراد على العمل (*) وهذا مركب صعب ولكن أهم شيء هو الاتحاد الاسلامي وجمع الكلمة على العمل يدا بيد وقد تكلمت الجرائد الانكليزية أخيرا عن هذا الاتحاد وقالت انه قريب الحصول ولكن هذه الاخبار لم تتحقق الآن غير أني أقول لاخواني المسلمين في كافة بقاع الارض ان الاسلام جسم واحد رأسه الدولة العلية وساعداه الافغان ومراكش ورجلاه مصر والعجم ولا يمنع الدول الاجنبية من الاعتداء والتداخل في بلاد الاسلام غير هذا الاتحاد فاجمعوا الكلمة ونادوا بذلك أولا ثم متى حصلتم على مرادكم منه رقوا

*) بل وجد من يساعده على التخريب والهادمون وان قلوا كثيرون

شأن داخليائكم وكونوا مع العصر يوما بيوم في الآلات الحربية وغيرها والا كان الاتحاد قليل الجدوى فسأل الله الهداية الى اقوم سبيل «لا . ي»

﴿ ملاحظة المنار ﴾

يدور كلام الفاضل الهندي على ستة أقطاب «١» بيان خطر الحال الحاضرة «٢» ذكر ان سببها الجهل والخمول «٣» ذكر ما اقترحه بعض الكتاب (صاحب رسالة نشرت في جريدة محمدان بامضاء الباحث الاسلامي من تأسيس جمعية إسلامية في الاستانة العلية للنظر في تأخر المسلمين وفي وسائل تقدمهم والسؤال كيف قوبلت في البلاد الاسلامية «٤» الجزم بأن البلاد الاسلامية لا يرتفع لها شأن الا اذا شارك الافراد الحكومات فيما تجريه . يريد ان يكون للأمة رأى في أعمال الحكومة الكلية كالحكومات الشورويه الحية «٥» العمل أولا على ترقية شأن المجموع بترجمة جميع مباحث العلوم العصرية وفروعها الى لغاتنا والعناية بالصناعات والادارة التي رفعت درجات العالم الاوربي وحريته الخطابة والكتابة «٦» استعانة الامم الاسلامية بعضها ببعض بان تستبدل دولة الفرس الضباط العثمانيين بالضباط الروسيين وتستعين بالمعلمين من مسلمي الهند على نشر التعليم العصري

ما احسن هذا البيت المسدس الاركان لو وجد له صناع يبنونه ويملؤنه من عسل المدنية الفاضلة أو يودعون فيه نتائج السجايا الانسانية كما يبني النحل بيته المسدس ليودع فيه نتاجه ثم مؤنته من العسل، النحل ينبعث للتعاون على عمله الذي تتوقف عليه حياة نوعه بحادي الالهام الفطري، وفطرته سليمة لا يطرأ عليها فساد ولا انقلاب والانسان فطر على التنازع والخلاف وأعطي قوة على تعديل فطرته الروحية، واجابة داعي العقل الى الوفاق والاتحاد برابطة الدين أو الجنسية أو الوطنية ، فاذا انحلت الرابطة بما يعرض على الروابط الاجتماعيه فيحلها فلا بد من العمل قبل كل شيء على عقدها ومع كل شيء على حفظها وتقويتها والمسلمون لا تجمعهم الا رابطة الدين كما قلنا غير مرة وقد انحلت بالتراخي وكادت تبطل بالمرة، فليس أول عمل يجب علينا هو ترجمة العلوم العصرية الى لغاتنا كما قال الكاتب بل اول عمل يجب علينا هو ما قلناه آنفا